

تعليم اللغة مقاميا

الأستاذ: شيباني الطيب - جامعة الأغواط - الجزائر

ملخص البحث:

المقام مكوّن أساسي في مفهوم الخطاب، وعلى هذا فالنظر إلى الخطاب لا يكون إلا بالنظر إلى المقام التواصلية الذي أنتج فيه. والهدف من تعليم اللغة العربية مقاميا هو الوصول بالمتعلم إلى توظيف علوم اللغة في حياته توظيفا يقضي الحاجات ويحقق الغايات. ويكون ذلك بدمج النحو بالبلاغة، إذ يكتسب المتعلم ما يكفيه لاستعمال اللغة استعمالا صحيحا حيث لا يخرج كلمة حتى يعرف مقامها فيختار اللفظ الذي هو أخصّ به وأكشف عنه، وأتمّ له. وبغيا به وغياب المقاصد لا يمكن الاستدلال بكلام المتكلم على ما يريد، لأن سر الكلام وروحه في إفادة المعنى، ويكون كمال هذه الإفادة في البلاغة.

توطئة:

إنّ الوقوف بالدراسة اللسانية عند حدود بنية اللغة، لا يمكن من فهمها والوقوف على أكبر قدر من حقائقها، لذلك تدعو الدراسات الحديثة وعلى رأسها التداولية إلى ضرورة أن تشمل الدراسة وظيفتها التواصلية. وقد ترتّب عن ذلك تدارك جانب مهم أهمله المنهج البنيوي، ويتمثل في السياق (المقام) وأثره في مختلف الاستعمالات

اللغوية، حيث تعتبر التداولية" اتجاهها في الدراسات اللسانية يعنى بأثر التفاعل التخاطبي في موقف الخطاب، ويتتبع هذا التفاعل دراسة كل المعطيات اللغوية والخطابية المتعلقة بالتلفظ وبخاصة المضامين والمدلولات التي يولدها الاستعمال في السياق"¹.

السياق عملية شاملة تستدعي كل ما يحيط بالخطاب من عناصر تساعد على ضبط المعنى، فيستغلها المتكلم باعتبارها آليات تكشف عنه مبعثه من مقاصد وأهداف. وتتوَّع هذه المقاصد والأهداف حسب تنوُّع السياقات من لحظة إلى أخرى في مجرى الخطاب، والسياق يحيل على الوضعية التي تمنح الخطاب تماسكه وترسخه²، ويوجد نوعان من السياقات كما يقول السكاكي: « ولا يخفى عليك أن مقامات الكلام متفاوتة، فمقام الشكر يباين مقام الشكاية، ومقام التهنية يباين مقام التعزية... وجميع ذلك معلوم لكل لبيب... ثم إذا شرعت في الكلام فلكل كلمة مع صاحبها مقام ولكل حدّ ينتهي إليه الكلام مقام... وارتفاع شأن الكلام في رباب الحسن والقبول، وانحطاطه في ذلك بحسب مصادفة الكلام لما يليق به وهو ما نسماه مقتضى الحال»³. ما نلاحظه من هذا الكلام أن السكاكي يفرّق بين نوعين من السياق، السياق المتعلق بمقامات الكلام "مقام الخطاب" وهو ما يهمننا في هذه الدراسة، ويندرج تحته السياق الثقافي، والسياق العاطفي، والسياق الاجتماعي. والثاني وهو السياق اللغوي حيث يقول: "لكل كلمة مع صاحبها مقام" وهو الذي يرتبط بتنظيم وحدات الكلام، المتمثلة في العلاقات الصوتية، والصرفية، والنحوية، والمعجمية.

1-المقام:

¹ إحياء النحو، إبراهيم مصطفى ص19

² الوصائل في تحليل الحادثة الدكتور خليفة المساوي ص196

³ مفتاح العلوم السكاكي ص256

هو المناخ أو الجو العام الذي يتم فيه الحدث الكلامي، وهو يشمل الزمان والمكان، والمتكلم والسماع، والأفعال التي يقومون بها، ومختلف الأشياء، والحوادث التي لها صلة بالحدث الكلامي، وهو "مجموع الظروف الاجتماعية أو العلاقات الاجتماعية، التي يمكن أن تؤخذ بعين الاعتبار لدراسة العلاقات الموجودة بين السلوك الاجتماعي والسلوك اللغوي"¹. من خلال هذا الكلام نرى أن المقام يلعب دورا بارزا في تحديد معنى الخطاب، ذلك لأن اللغة وليدة المجتمع والاحتكاك بين أفرادها، لذلك أكد علماء اللغة أن اللغة نشاط اجتماعي للإنسان وبالتالي يكون المقام متما للمعنى ولا يمكن الاستغناء عنه في تفسيرها. فلا يمكن أن نتحدث عن دلالة عناصر الخطاب دون الأخذ بعين الاعتبار السياق (المقام) الذي ترد فيه إذ يحصر عدد المعاني الممكنة من جهة ويساعد على تبني المعنى المقصود من جهة أخرى "إن استعمال صيغة لغوية يحدّد مجموعة من المعاني وبإمكان المقام أن يساعد على تحديد عدد من المعاني، فعندما تستعمل صيغة في سياق ما فإنّها تستبعد كل المعاني الممكنة لذلك السياق، والتي لم تشر إليها تلك الصيغة، والسياس بدوره يستبعد كل المعاني الممكنة لتلك الصيغة التي لا يحتملها السياق"²

2-العناصر المكونة للمقام:

يقوم المقام على جملة من العناصر التي تكونه في فهم وتحليل اللغة في ضوء رصد علاقتها بالسّمات والتغيرات التي تجري فيه وهي³:

1. شخصية المتكلم أو السامع، وتكوينهما الثقافي وانتمائهما الاجتماعي.

¹ علم الدلالة إطار جديد، بالمرص 60-61

² تحليل الخطاب، ج ب براون، وج بول ص47

³ علم اللغة، السعرا، ص339

2. موضوع الخطاب ، أو ما يدور حوله الكلام.
 3. هدف النص الكلامي وغايته المتوخاة في المشتركين في الكلام، كإقناع أو الإغراء أو السخرية أو النقد...
 4. العوامل والظواهر الاجتماعية ذات العلاقة باللغة، والسلوك اللغوي لمن يشارك في الموقف الكلامي كمكان الكلام، وجنس المتحدثين ، وكل ما يطرأ في أثناء الكلام.
 5. موقع الكلمات من التركيب اللغوي ، ومستوى ذلك التركيب من حيث قربه أو بعده من القواعد المقررة في النظام اللغوي المعين.
- 3- العوامل المساعدة في فهم الرسالة والمصاحبة للمقام:**

أولى علماء اللغة عناية خاصة بالظواهر المساعدة في فهم الرسالة وأدركوا دورها البارز في تحديد ما تحمله من دلالات مختلفة، وترتبط تلك الدلالات في كثير من الأحيان بالطريقة التي يتكلم بها الأفراد في تفاعلاتهم وهي:

1. التنعيم:

يقصد بالتنعيم الإطار الصوتي الذي تقال به الجملة بحسب ما يقتضيه المقام التواصل ، وهو في اللغة العربية يقوم بوظيفة تمييزية واضحة بين الجمل التقريرية والجمل الاستفهامية، والجمل المنفية، كما يقول الأستاذ تمام حسان: "فالجمل العربية تقع في صيغ وموازين تنعيمية هي هياكل من الأنساق النغمية ذات أشكال محددة. فالهيكل التنعيمي الذي تأتي به الجملة الاستفهامية وجملة العرض غير الهيكل التنعيمي لجملة الإثبات وهن يختلفن من حيث التنعيم عن الجملة المؤكدة"¹. معنى هذا الكلام أن التنعيم يساعدنا على التفريق بين الأساليب ، وذلك أن الجملة الواحدة قد يكون

¹ العربية معناها ومبناها ، ص126.

لها أكثر من معنى في أكثر من مقام على الرغم من تشابهها من حيث التركيب، حيث يساهم التنعيم ويساعد على إزالة اللبس عن معنى الجملة، وعلى إدراك الفرق بين المعاني. وقد أشار الأستاذ أحمد المتوكل في هذا الصدد إلى أن التنعيم الذي تأخذه الجملة، في العادة، هو التنعيم المطابق لقوتها الإنجازية الحرفية بحيث تأخذ الجملة الخبرية تنغيما تنازليا في حين أن تنعيم الجملة الاستفهامية تنعيم تصاعدي. كما أن تنعيم الجملة يختلف باختلاف القوة الإنجازية المستلزمة مقاميا؛ فتنعيم الجملة الاستفهامية المقصود بإنجازها مجرد السؤال يختلف اختلافا يبيّن عن تنعيم الجملة الاستفهامية المقصود بإنجازها الالتماس أو الإخبار أو الأمر...¹. ومثال ذلك لمن نراه يضرب أباه:

أتضرب أباك ؟

فحينما يتلفظ المرسل بهذا الملفوظ، في هذا المقام التواصل، فإن مراده لا يكون هو تحقيق السؤال، بل الإنكار والزجر. فبالرغم من أن هذه الجملة استفهامية في لفظها فإنها لا تحمل معنى الاستفهام وإنما معناها التوبيخ الذي يشتقه المتلقي من التنعيم الصوتي الذي يؤدي به المرسل هذه الجملة.

2. التبر:

يقصد بالتبر الوضوح والبروز الصوتي لفونيم أو مقطع إذا قورن ببقية الفونيمات أو المقاطع الأخرى نتيجة درجة ارتفاع الصوت. للنبر دور هام في اللغة، فكلّ متحدث بلغة ما، يضغط على بعض المقاطع فيها، وكلّما انتقل التبر من مقطع إلى آخر أدى ذلك إلى تغيير دلالة الكلمات أو الصيغة الصرفية، أو المعاني في الملفوظات. مثال ذلك الجملتين التاليتين:

أعطيت هنداً كتاباً. 1 ..

¹ اللسانيات الوظيفية مدخل نظري، أحمد المتوكل، ص56-57

كتابا أعطيت هنداً . 2... بنبر كتابا.

هناك فرق في المقصد بين هاتين الجملتين يحدده المقام.

القصد في الجملة الأولى هو إخبار المخاطب بمعلومة جديدة غير متوفرة لديه، لذلك آخر المفعول. في حين أن تصدّره في الجملة الثانية والتبر عليه آيل إلى أن القصد من إنتاجها تصحيح إحدى معلوماته باعتبار أن هذه الجملة ردا على الجملة: ينبغي أنك أعطيت هنداً قلماً.

3- الوقف:

هو قطع الصوت آخر الكلمة زمناً، أو هو قطع الكلمة عما بعدها، وهو من الظواهر الصوتية ذات الشأن في توجيه المعنى على مستوى التركيب. وهو الذي يساعد على تقسيم الكلام إلى دفعات كلامية، تعتبر كل واحدة منها إذا كان معناها كاملاً فعلاً إنجازياً. فبمساعدة الوقف نستطيع أن نميز بين الدلالات المختلفة التي تحملها الجملة التالية:

لا بارك الله فيك.

إذا نطقنا بها بدون توقف فالجملة تعني الدعاء على المخاطب بأن لا يبارك الله فيه. أما إذا نطقنا بها بتوقف قليل بعد لا فيكون المعنى ردا على المخاطب بالنفي على طلبه، والدعاء له بأن يبارك الله فيه.

4- المرافقات السيميائية:

وهي استخدام الحركات والإشارات أثناء الكلام نحو ، الغمز بالعين والإشارة باليد وتقطيب الحاجبين وكل ما يسمح بتحقيق القصد الذي

نرغب أن نبغّه للمتلقّي، شريطة إتقاننا لها عند مرافقتها للكلام ، وفهم المتلقّي مراد المتكلم من حركة أو إشارة يقوم بها أثناء عملية التواصل.

4- التعليمية اللغوية:

شهدت التعليمية اللغوية في العقود الأربعة الأخيرة خاصة تطورا كبيرا، ليس من ناحيتها المنهجية وحسب؛ ولكن من الناحية التطبيقية أيضا، هذا التطوير أورش التعليمية اللغوية رصيذا معتبرا من الجهود التي يُلورت في مؤلفات منهجية نظرية وتعليمية تطبيقية، أخذت بها لغات عديدة، من مثل: الإنجليزية والفرنسية والألمانية والإسبانية... حيث عملت هذه اللغات بما توصلت إليه هذه الجهود من طرائق تعليم اللغة لمختلف فئات المتعلمين على مختلف مستوياتهم وحاجاتهم اللغوية والتعليمية المنوطة بهذه العملية؛ وهو الأمر الذي جعل هذه اللغات تحظى بانتشار واسع على الألسنة في مختلف جهات العالم.

استغلت هذه الجهود استغلالا كاملا إلى أن توصلت التعليمية اللغوية في الوقت الحاضر إلى إرساء مقاييس وأصولا صارت بمثابة القوانين التي يجب أن يلتزم بها القائمون على التعليم اللغوي في بناء البرامج وانتقاء الطرائق وتحديد جملة الوسائل التي تكفل تعليما ناجعا. وصارت بذلك ملتقى تخصصات علمية مختلفة؛ ساهمت في تشكيلها وضبط موضوعها، تبحث في:

1. المحتوى المَعْلَم (طبيعة اللغة موضوع التعلم)، أي: مجمل المعارف اللسانية النظرية والتطبيقية.
2. المتعلم: قدراته المعرفية وخصائصه الوجدانية والفردية (الرغبة الاستعداد الحاجة، الذكاء، الموقف، الشخصية، العمر، الجنس، المحيط...).
3. الغايات اللغوية والأهداف المنشودة من تعلّم اللغة.

4. معرفة آليات التعليم والاكساب وكيفية التحصيل اللغوي الجيد.
5. معرفة طرائق التعليم المختلفة وأساليبه وأنماطه ووسائله.
6. آليات التقييم والاختبار، أي: تقييم كفاءات المتعلمين وقياس مهاراتهم المكتسبة.

5- حقيقة تعليم اللغة العربية

الحقيقة أن كل ما يركز عليه في تعليمية اللغة العربية لأبنائها ولغير الناطقين بها؛ وكل ما يمكن ذكره من إفادتها في مجال تعليم اللغة العربية، هو محاولات تيسير قواعد النحو والصرف والتي لم تصل مع الكم الهائل من الدراسات المقدمة في هذا المسعى إلى تسهيل مأخذ هذه المادة اللغوية فعليا، بل اكتفت تلك البحوث بترسيخ فكرة أن الفشل في تعلم العربية وأخذها ونشرها، محكوم بصعوبة قواعدها النحوية والصرفية.

والحقيقة أنه لا تخلو لغة من صعوبة في قواعد نظامها النحوي والصرفي وكثرة الاستثناءات فيها.

أما القواعد في حد ذاتها من حيث كونها مثل معرفية وذهنية يجب تمثلها لاكتساب لغة صحيحة؛ فهي في كل اللغات قابلة للتعلم والاكساب؛ ولكن يبقى التفاوت فيما بين اللغات في تحقيق هذا الهدف واضحا؛ فهناك لغات تعمل على الاستنفاد الأقصى لكل الطرائق الكفيلة وكل الوسائل المدعمة لتعليم لغتها. وهناك بالمقابل لغات يعيق مسار تطورها ويغلق أمامها أفق الانتشار، عدم إفادتها من الوسائل البيداغوجية والتقنيات التي تقدمها تعليمية اللغة اليوم، هذا إلى جانب التخطيط اللغوي والسياسة اللغوية المنتهجة؛ وهذه مسألة كبرى تطلب لوحدها مؤتمرا أو أياما دراسية مستقلة.

6- أهداف تعليم اللغة العربية:

يهدف تعلم اللغة العربية إلى إكساب المتعلم القدرة التبليغية (التواصلية) التي تعتمد على بناء ثلاث كفايات هي:

1. الكفاية اللغوية:

وهي سيطرة المتعلم على النظام الصوتي للغة تمييزا وإنتاجا، ومعرفته بتراكيب اللغة، وقواعدها الأساسية؛ نظريا ووظيفيا، والامام بقدر ملائم من مفردات اللغة.

2. الكفاية الاتصالية:

هي قدرة المتعلم على استخدام اللغة العربية بصورة تلقائية، أي معرفة كيف يستعمل ويستجيب بشكل مناسب لأنواع مختلفة من أفعال الكلام.

3. الكفاية الثقافية:

هي فهم المتعلم ما تحمله اللغة العربية من ثقافة، حيث يدرك القوانين الاجتماعية والمفاهيم المتبادلة بين الأفراد.

وعلى معلم اللغة العربية تنمية هذه الكفايات لدى متعلميه من بداية تعليم وتعلم اللغة إلى نهايته وفي جميع المراحل والمستويات.

7- تعليم اللغة مقاميا :

على الرغم من التقدم الكبير الذي حصل في ميدان البحوث اللغوية اللسانية فإنّ عملية التعليم والتعلم ما زالت تركز على الجوانب الشكلية للغة. ونحن نعلم أنّ غاية تعلّم اللغة هو ممارستها في كلّ شأن من شؤون حياتنا، ولا يمكن فصلها عن المقام، لأن اللغة وليدته، فلا تؤخذ بعيدا عن الظروف المتعلقة بالبيئة، والمتكلم والمستمع، وللمقام دور محوري، وأثر بالغ في إنتاجنا اللغوي شفهيّا كان أم كتابيّا، كما وتتدخل في ضبطه منظومة القيم، والنظم الأخلاقية، والاجتماعية.

إن متعلمينا يحتاجون إلى تعليم يجيّدون به فن القول، واستخدام اللغة استخداما صحيحا، فيستطيعون أن يتحدّثوا بكلام بليغ في كل مناسبة مقتضاة وفي كل مقام

يجدون أنفسهم فيه، فيستطيعون أن يعبروا عن مرادهم، ومقاصدهم في أي غرض شاءوا.

وما يلاحظ اليوم في مناهج اللغة العربية الاهتمام بالنحو وربطه بالعامل والحركات الإعرابية، وحصر البلاغة واختزالها في البحث عن الصور والوجوه البلاغية جعل أبنائنا يفقدون القدرة على استخدام اللغة كأداة تأثير بل اكتفوا بحفظ القواعد وتكديسها في الأذهان دون استخدامها الاستخدام الصحيح، وقد توصّل العلماء قدماء ومحدثين إلى أن معنى الجمل في اللغة العربية يستنبط من خلال المقام ، حيث لا ينحصر في صيغها الشكلية والصورية، بل يتعداه إلى معان أخرى مستلزمة. ولا يتم ذلك إلا بربط النحو بالبلاغة بحيث يكتسب المتعلم القدرة على استعمال اللغة وليس القدرة النظرية، فالنحو من هذه الناحية هو صورة اللغة وبنيتها، أما البلاغة فهي استعمال اللغة واستثمار نظامها في الحياة اليومية¹. وبذلك تستخدم اللغة مقاميا، فتدغم سلامة التركيب وجماله وإصابة المعنى في آن معا.

"والدرس الذي يخطط في ضوء علم النحو الشكلي لا يمكن أن ينافس في فائدته الدرس الذي يخطط في ضوء تعليم اللغة في مقامات حقيقية ذات دلالة ومعنى لدى المتعلم وكيف يتعامل مع هذه المقامات في حياته الشخصية والعملية، ولعلنا لو فعلنا ذلك لجعلنا تعلم النحو عندهم، معنى مقاميا إتصاليا تأثيريا مقنعا"² ومثال ذلك الفرق الموجود بين من يعلم لن أداة نصب ، وبين من يعلمها لغاية وظيفية في المقام الذي ترد فيه وهي أداة نفي في المستقبل وإن كان لا يهمل أهما تنصب الفعل المضارع.

¹ دروس في اللسانيات التطبيقية ، صالح بلعيد، ص 79-80.

² الأساليب مناهج ونماذج في تعليم اللغة العربية، ص 191.

فالأول يهتم بإعرابها وإعراب الفعل المضارع بعدها. أما الثاني فيهتم بتركيب الجملة في أسلوب النفي الذي تستعمل فيه لن .

فالأول يخطئ في تركيب النفي في المستقبل فقد يقول : سوف لا أفعل كذا ، أو سوف لن أفعل كذا ، بدل لن أفعل كذا. ففرق كبير بين التركيبين.

إن دراسة التراكيب اللغوية بمعزل عن محيطها لا تحقق أهداف التعبير والتواصل وغاياتهما، ولا يفرق الأداءات المختلفة عن بعضها ، لأن اللغة واقع اجتماعي حي، وأبنيتها تحدّد أولاً على أساس أنها علاقات وأنظمة داخلية تتأثر بما يكتنفها من مؤثرات خارجية ، ثم على أساس أنها وسيلة للتواصل. ونحن نهدف من خلال التعليم إلى تحقيق القدرات اللغوية للمتعلمين حتى يتمكنوا من ممارستها في وظائفها الطبيعية العملية صحيحة في مختلف شؤون الحياة. وهنا تأتي أهمية ربط النحو بالبلاغة بنظرة الوصل لا الفصل وهو ما يسمى بالنظم عند إمام البلاغة العربية عبد القاهر الجرجاني حيث يقول: "وليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها..."¹

ونجده في موضع آخر يؤكد على معاني النحو في ارتباطها بالبلاغة في قوله: "فقد لا تدرك الفرق في المعنى بين قولنا -أنا ماسمعت- و-سمعت أنا- لكن علم المعاني هو الذي يعلمنا هذه الفروق. ويوقفنا على المعاني المتباينة بين كل من هذه التراكيب، لذلك قالوا: إنه علم معاني النحو"².

إن تعليم القواعد والتراكيب مقامياً يقتضي توجيه تعليم النحو على نحو يصبح المتعلمين معه يجدون أبواباً مستقلة في مقام الاستفهام ، وفي مقام النداء ومقام

¹ دلائل الإعجاز، ص64

² نفسه، ص64

الأمر وفي مقام النهي ومعانيهما المجازية الناتجة عن اختلاف المقامات والأمثلة كثيرة في ذلك:

في النداء مثلاً: عند مناداة محمد (أستاذ) من قبل زميل له في مثل سنه علاقتهما متينة يقول يا محمد.

إذا كان تلميذ من تلاميذه يناديه يا أستاذ محمد أو أستاذ محمد ولو أنه ناداه باسمه مجرداً ، محمد لما أدرك الأستاذ أنه هو المقصود بالنداء.

ما نلاحظه في هذه الحالات أن جمل النداء هذه صحيحة في ضوء قواعد النظام في اللغة العربية، ولكن صحة الاستعمال تتوقف على عنصر آخر غير لغوي يتعلق بالمقام الثقافي والمقام الاجتماعي.

في الاستفهام: تخرج أسماء الاستفهام عن معانيها الحقيقية إلى معان أخرى مثل التمني ، التهكم، الوعيد، التقرير، التكذيب، الاستبطاء.

إذا قلت هل لي من شفيع¹ في مقام لا يسع إمكان التصديق بوجود الشفيع امتنع إجراء الاستفهام على أصله ، وولد بمعونة المقام معنى التمني.

إذا قلت لمن تراه يؤذي الأب: أتفعل هذا؟ امتنع توجه الاستفهام إلى فعل الأذى ، لعلمك بحاله ، وتوجه إلى معنى الإنكار والتوبيخ.

إذا قلت لمن جاءك: أجتني؟ امتنع الاستفهام عن الجيء ، وولد بمعونة القرينة معنى التقرير. إذا قلت للمتعلمين: ألا تكتبون؟ امتنع الاستفهام ، وتوجه إلى معنى الأمر. ألا ترضى أن تكون طبيباً؟ تحمل هذه الأداة ملاطفة في صيغة الاستفهام، فالفعل الإنجازي هنا غرضه التأثير على المتلقي، وحثه على المثابرة والاجتهاد.

¹ مفتاح العلوم، ص416

وأسلوب الأمر يخرج معناه الحقيقي إلى معاني التهديد ، التعجيز، التسخير، الإهانة.

إذا استعمل على سبيل التضرع كقولنا: اللهم اغفر وارحم تولد معنى الدعاء.
وإذا استعمل على سبيل التلطف كقول أحد لمن يساويه في المرتبة :افعل بدون استعلاء، ولدت الالتماس.

قولك لشخص: ناولني الكتاب من فضلك، المنجزة في مقام محدد يخرج معناها من الطلب إلى معنى الالتماس وهو ما تفيدته القرينة من فضلك

وأسلوب النهي إلى معاني التهديد، الدعاء، التضرع
إذا قلت لعبد لا يمثل لأمر: لا تمثل أمري امتنع طلب ترك الامتثال لكونه حاصلًا، وتوجه إلى غير حاصل وتولد منه التهديد.

كما يخرج النهي إلى الدعاء إذا استعمل على سبيل التضرع والابتهاال، كقول المبتهل إلى الله، لا تكليني إلى نفسي.

.....

من الملاحظ أن الميل إلى اعتماد الأساليب الإنشائية تمنح المتكلم حرية ومجالا واسعا للتعبير، والإقناع، والتأثير باللجوء إلى استعمال أساليب مختلفة من نهي، وأمر، ونفي، واستفهام. ومثل هذه الأساليب كما رأينا لا نستطيع أن نفهم دلالاتها الوعظية والإرشادية، وغيرها إلا من خلال المقام الذي قيلت فيه ومعرفة حال متكلميها.

وهذا ما يساهم في تدريب المتعلمين على فهمها في أسهل صورة ممكنة ليتمكنوا من استعمالها بالكيفية الصحيحة التي يحتاجونها في مختلف مناحي الحياة.

ومن هنا ولما كانت اللغة مقامات، فلا بد للمتعلم أن يتعرف من خلال مناهجه على أنواعها التي يكون فيها الإيجاز، والتي يكون فيها الإطناب، وفي أيها يكون الهزل وفي أيها يكون الجد. وماذا يقول في مقام الشكر ومقام التهنة ومقام التعزية وفي مقام الحمد ومقام

الشكر وفي مقام السؤال ومقام الطلب ومقام الأمر ومقام الدعاء ومقام التودد، وماذا يقول في مقام المدح ومقام الفخر ومقام الذم ومقام الهجاء ومقام الترغيب ومقام التهيب وماذا يقول في مقام الدعاء والاستعطاف والترجي. ويتم ذلك كله في مواقف حيّة غير مصطنعة . إن الاستخدام السليم ، والممارسة الفعلية للغة، يتطلّب معرفة أغراض التواصل اللغوي. منها:

الضبط والتحكم، ويتم ذلك في المواقف اللغوية التي يطلب فيها العدول عن تصرف ما، أو الإذن بفعل ما، ويتمثل ذلك في الأمر والنهي، والتحضّيز، والرجاء، وفي مواقف التهديد والوعيد.

نقل المشاعر والعواطف، وذلك للتعبير عن مشاعر القبول، أو الرفض، أو الاستحسان، أو التشجيع.

أداء الشعائر الاجتماعية، أو الثقافية من خلال مواقف التحية، والاعتذار، والاستئذان، والمحاورات، والمراسلات، والدعوات.

خاتمة:

إن الوصول بالمتعلم إلى توظيف علوم اللغة في حياته توظيفا يقضي الحاجات ويحقق الغايات هو المرجو من تعلّمها وتعليمها ، لذا وجب إعادة النظر في مناهجنا التي تُقدّم للمتعلم ويقضي في ذلك سنوات عديدة، وأياما مديدة في تناول اللغة دراسة وحفظا واستظهارا، وإذا ما احتاج لاستخدامها ضاعَت الأفكار، وشردت الخواطر، وتفرّقت المفردات. ومن هذا المنطلق كان لزاما أن لا تدرس اللغة لتكون مجرد ألفاظ وقواعد ونصوص يتلقاها المتعلم ليودعها ذاكرته ثم يجترها، بل تدرس لتؤدي وظيفتها في مواقف الحياة التي تواجهه، فيكتب تقريرا، أو بطاقة دعوة، أو يلقي بها خطبة، أو يسترسل في

خطاب....، فاللغة الحية لغة تعامل وتواصل .ويتأتى ذلك بحضور التطبيقات الحياتية في المقامات المختلفة؛ أي أن تُولي المناهج المدرسية نظرية المقام عنايتها، واستثمارها لمعالجة المشاكل اللغوية واستغلالها في إصلاح موضوعات اللغة العربية وتعديلها وفق مبادئ الاستعمال، استجابة لمطالب العصر.وبذلك يحقق المنهاج أهدافه في أن يعبر المتعلم عما يعرض له من أمور حياتية تعبيراً يحقق أغراضه ويلبي حاجاته، سواء أكان ذلك التعبير عبر تطبيقاته الكتابية في مراسلاته، وملخصاته، وتقاريره...، أم كان عبر تطبيقاته الشفهية في محاوراته، ومحادثاته، وإرشاداته، وتعليماته، وفي مواقف التهئة والمواساة، والاستقبال والتوديع، ولن يكون ذلك مجدياً إلا إذا تم في مواقف ومقامات حيّة غير مصطنعة .

المصادر والمراجع:

- إبراهيم مصطفى: إحياء النحو، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط2، القاهرة، 1990.
- أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري، منشورات عكاظ، الرباط، 1989.
- بالمر، ف ر: علم الدلالة إطار جديد، ترجمة الدكتور صبري إبراهيم السيد، دار المعرفة الجامعية، مصر 1992.
- تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، الشركة الجديدة، دار الثقافة.
- جيليان براون: جورج يول، تحليل الخطاب، ترجمة وتعليق، الدكتور لطفي الزليطي، الدكتور مشير التريكي، جامعة الملك سعود، الرياض، 1997.
- خليفة الميساوي: الوسائل في تحليل الحادثة، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2012.
- السكاكي: مفتاح العلوم: تقديم وتحقيق الدكتور عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية، بيروت ط1، 2000
- صالح بلعيد: دروس في اللسانيات التطبيقية، دار هومة، ط3، الجزائر، 2000.
- عبد القاهر الجرجاني: دلالات الإعجاز: تحقيق الدكتور ياسين الأيوبي - المكتبة العصرية - صيدا - بيروت - الطبعة الأولى (1421هـ / 2000م)
- محمود السعران: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر العربي، مصر 1992.
- نهاد الموسى: الأساليب مناهج ونماذج في تعليم اللغة العربية، الشروق، ط1، 2003.

